دراسة ميدانية لحرفة صناعة «المهباش» التقليدي الأردني

خليل طبازه
كلية التربية، جامعة قطر

Abstract

Through this decomentary study for the Jordanian traditional Coffee Grinder (Almehbash) Handicraft, the researcher introduced a historical introduction for this kind of crafts, materials and traditional tools, prices, methods of production, decoration and marketing process.

The researcher pointed out the main problems that faces the handicrafts-men who work in this sector presenting some of their background and experience in this field.

Finally, he pointed out some suggestions and recommendations that might help preserving this kind of traditional handicrafts for future generations

ملخص

من خلال الدراسة الميدانية لحرفة صناعة «المهباش»، استعرض الباحث تاريخ هذه الحرفة والخامات والمواد المستعملة، وأسعارها، والأدوات التقليدية المستعملة في الإنتاج. موضحا مراحل التصنيع والزخرفة المختلفة، وطرق التسويق الخاصة بمنتجات هذه الحرفة. مبينا أهم المشكلات التي تواجه الحرفة، وشارحا نبذة عن حياة الحرفيين العاملين بها.

وفي الختام أشار الباحث إلى مجموعة من المقترحات التي يراها ضرورية من أجل الحفاظ على هذه الحرفة وضمان استمراريتها للأجيال.

تاريخ استلام البحث: ١٩٩٧/١٢/٢٣ تاريخ قبول البحث: ١٩٩٩/٢/١٠

أهمية البحث ومبرراته:

لقد قامت دول عربية كثيرة بعمليات توثيق ودراسات لفنونها الشعبية الحرفية، ونشرت المعلومات الكافية عنها، فأصدرت بهذا الشأن الكتب والنشرات، وتضم المكتبة العربية الآن بعض المصنفات التي تتناول الأزياء، كما أصدرت بعض المؤسسات العربية المهتمة بالفنون الشعبية الدوريات التي تتناول موضوعات الفنون الشعبية الحرفية.

وعقدت بعض المؤسسات العربية عددا من الندوات والمؤتمرات التي التأمت في الخارج والداخل، حيث نبه الدارسون والباحثون إلى أهمية المحافظة على الفنون الشعبية. وتعد الدراسة محاولة من الباحث في هذا المجال، لإلقاء الضوء على حرفة تقليدية شعبية منتشرة بالأردن وهي صناعة «المهباش» التقليدي الأردني، التي قد تساعد كثير من الباحثين والدارسين في هذا المجال الإستفادة من هذه الدراسة لا سيما طلبة كليات الفنون.

هذا فضلا عن أن دراسة التراث الحرفي التقليدي وتوثيقه سوف يساعد على تحديد ملامح التوجهات المعاصرة في الإنتاج الحرفي ومتطلبات العصر وحاجاته، بحيث نستطيع المحافظة على الطرز والأنماط التقليدية وخلق مدرسة معاصرة من الإنتاج الحديث، ذات صفات متميزة وأصيلة ومعاصرة.

مشكلة البحث:

دراسة ميدانية توثيقية لحرفة صناعة المهباش التقليدي الأردني من النواحي التالية: أشكال وتصاميم فنية، تقنيات إنتاج، توزيع جغرافي، خامات ومصادر الحصول عليها، الحرفيين وطرق تعلم الحرف والعوامل المساعدة في تطويرها والمحافظة عليها.

أهداف البحث:

جمع المعلومات الميدانية العلمية عن حرفة صناعة المهباش وتصنيف هذه المعلومات وتحليلها وتوثيقها ونشرها، للوصول إلى توصيات واقتراحات تفيد الباحثين والعاملين في هذا المجال، وعلى النحو التالي:

١- بيان ماهية المهباش وسبب التسمية.

٢- توضيح استعمالات المهباش المختلفة.

٣- تعريف أنواع الخامات والتقنيات والأدوات المستعملة في صناعة المهباش.

٤- تعريف أنواع الزخارف المستعملة في تجميل المهباش.

٥- تحديد أجزاء المهباش وأقسامه.

٦- تعريف أوضاع الحرفيين العاملين في مجال صناعة المهباش.

٧- توثيق المعلومات من خلال الصور التفصيلية والتوضيحية.

منهجية البحث:

١- لقد اعتمد الباحث في دراسته هذه اعتمادا كليا على المسح الميداني من أجل جمع المعلومات الدقيقة والصادقة من مصادرها الأصلية، وهم: الحرفيون الشعبيون العاملون في مجال صناعة «المهباش» والمنتشرون في أنحاء المملكة.

٢- قام الباحث بتصنف هذه المعلومات وتبويبها.

٣- قام الباحث بعملية تصوير فوتوغرافي تسجيلي للحرفيين في مواقع عملهم.

الدراسات السابقة:

من خلال دراستي الأكاديمية واهتمامي بهذا النوع من العلوم الإنسانية اتضح لي أن كثيرا من دول العالم قد قامت بتوثيق فنونها الشعبية وجمع المعلومات والدراسات الكافية عنها، كما اتضح أن هناك حركة نشطة في دول العالم المتقدم مثل اليابان وألمانيا وبريطانيا، وأيضا ظهرت حركة عند شعوب دول العالم الثالث. وعلى المستوى العربي توجد دراسات واهتمامات متواضعة من قبل بعض الباحثين الأجانب .(Topham, 1981) أما على المستوى المحلي فإن المكتبة تخلو من أي دراسات أكاديمية علمية، فكل ما هو موجود عبارة عن نشرات سياحية لا أعتقد أنها تفي بحاجة هذا القطاع من تراثنا الأردني.

المهباش:

هو عبارة عن كتلة خشبية تمل في ثلاثة أرباعها السفلية إلى الشكل الأسطواني تقريبا، قطرها حوالي ٣٠ سم وارتفاعها من ٣٥-٣٨ سم. وفي الربع العلوي تميل نحو نقطة معينة هي فوهة المهباش قطرها من ٨- ١٠ سم وعمق هذه الفوهة يبلغ ثلثي ارتفاع المهباش، وللمهباش يد خشبية، وهذه اليد عبارة عن عصا طولها ٧٥-٨٠ سم، وأطلق قديما على المهباش عدة أسماء فقيل عنه النجر، الجرن، الهاون، والمدق.

وكان يصنع من الحجر أو المعدن، ثم استخدم الخشب بعد ذلك لخفة وزنه وسهولة العمل به والحفر عليه، ومؤخرا استقرت التسمية على المهباش، وهو الأداة المستخدمة لطحن القهوة التي تقرن بالكرم العربي الأصيل عند البدو وأهل القرى ويزين المهباش ويزخرف من الخارج برسوم حيوانية ونباتية وهندسية.

سبب التسمية بالمهباش:

كما سبق علمنا أن المهباش كان يعرف بالنجر والجرن والمدق والهاون، وكل هذه الأسماء تصب في معين واحد من حيث معناها. إذ أنها تدل على تفتيت الشئ إلى أجزاء صغيرة أي دق القهوة وتحويلها إلى حبيبات صغيرة، ويحكى عن سبب تسمية النجر بالمهباش أنه في فترة ما قبل الإسلام زمن حاتم الطائي تحديدا كان شيخ يدعى «ابن رشيد» ويذكر أن هذا الشيخ كان يمنع الناس من عمل القهوة واقتنائها في بيوتهم، ومن يجد في بيته القهوة فإنه يعدم، وكان يأبى إلا أن يشرب الناس من القهوة في بيته،وكان هذا الشيخ إذا أراد جمع العشيرة لأمر هام يرسل خادمه المطيع المسمى «مهباش» ليقوم بهذه المهمة. ومع مرور الزمن توفي الخادم «مهباش» واحتار الشيخ في مهمة جمع العشيرة واستصعب الأمر عليه. وقد أوكل الشيخ مهمة جمع العشيرة لأخ الخادم «مهباش» لكنه لم يف بالغرض الذي كان شقيقه يؤديه، وبعدها أشير على الشيخ بدق النجر كلما أراد جمع العشيرة فيكون بمثابة جرس ينوب عن الخادم «مهباش» في جمع العشيرة، وبالفعل أصبح يدق النجر فتسمع العشيرة وتحضر إلى الشيخ للإجتماع، وتخليدا لاسم هذا الخادم المطيع «مهباش» رأى الشيخ أن يطلق على النجر اسم الخادم،

ومنذ ذلك الوقت صار الإسم دارجا على ألسنة العرب وأصبح النجر «مهباشا» وأصبح للمهباش تقاليد قيل منها: «أن الشخص الذي يجيد نقرات المهباش الموزونة يحترمه القوم ويدعونه للولائم».

وعلى هذا فإن الشخص الذي يقوم بعملية الدق علىالمهباش أصبح له قيمة اجتماعية مرموقة واصبح الناس يتبادلون ضيافته في كل ليلة أما كلمة المهباش لغة فهي تعني التجمع، فعن كتاب لسان العرب (جمال الدين محمد بن مكرم، ص٣٦٣) أن معنى تهبشوا القوم أي تجمع القوم، فمن الممكن أن كلمة مهباش قد اشتقت من هذا السياق اللغوي، أي الأداة التي تستعمل لجمع الناس بواسطة سماع دق صوت المهباش.

استعمالات المهباش:

للمهباش استعمالات عدة نشأت حسب الحاجة وتطورت مواكبة تطور الحضارة وهذه الإستعمالات هي:

١- استعمال نفعي.

٢- استعمال ترفيهي.

٣- استعمال جمالي.

١- الإستعمال النفعي:

نحن نعلم أن الحاجة أم الإختراع، والمهباش نشأ كغيره تلبية لحاجات ومتطلبات الإنسان القديم، وكون المهباش عربي أصيل فإنه ناتج عن عادات وتقاليد العرب، حيث لم يكن من بد لصناعة القهوة، الشراب الذي لا غنى عنه، والذي يعكس أصالة الكرم العربي، وبناءً على هذا المتطلب صنع المهباش غرض دق وسحن القهوة فكانت الغاية الأساسية للمهباش غاية منفعية بحتة.

٢- الإستعمال الترفيهي:

بدأ استعمال المهباش في هذا الجانب عندما اكتشف أن له صوتا رنانا يصدر عن ضربات اليد المحسوبة بدقة والصدى الناتج عنها فما كان من العرب قديما إلا أن استخدموه للطرب، على ايقاعاته الجميلة في ليالي السهر والسمر، وعلى الرغم من هذا ، يستخدم المهباش كآلة موسيقية إيقاعية من ضمن الآلات المختصة بهذا الجانب الموسيقي.

٣- الإستعمال الجمالي:

إن تطور الحضارة أدى إلى البحث عن سبل تعطي الحياة اليومية ديناميكية أسرع وأسهل. فظهرت الآلات الحديثة التي تقوم مقام المهباش في عملية دق وطحن القهوة مما ساعد على التقليل من أهمية وجود المهباش. وأصبحت الرغبة عند الكثير من الناس اقتنائه كتحفة فنية من التراث يزين بها الحيز الذي توضع فيه ومن هنا أصبح الإهتمام كبيرا بزخرفة وتجميل المهابيش بأشكال مختلفة وتطعيمها بالأحجار الكريمة وتلبيسها بالفضة والذهب.

أنواع الأخشاب المستخدمة في صناعة المهباش:

إن الخامة المستخدمة في صناعة المهباش بالذات هي الخشب، وتعد الأخشاب الخامة الرئيسية الأهم في صناعته وتكوينه، ونحن نعلم أن للخشب أصنافا مختلفة وعديدة، ولكن الخشب بين يدي حرفي ماهر عالم بأنواعه وأصنافه، أفضليات في جودة المهباش. إذ لا بد من وجود نوع يتناسب مع متطلبات هذه الحرفة شكلا ووظيفة، فمن هذه الأصناف أنواع كثيرة ندرجها تبعا لأفضليتها كما يلي:

١- **البطم:** لقد أجمع الحرفيون على رأي واحد متفق عليه كان نتاج خبرة طويلة تعاملوا فيها مع مختلف أنواع الأخشاب فوجدوا أن لأخشاب البطم ميزات كثيرة تميزها عن غيرها ومنها:

- الصلابة التي تمتاز به الطبقة السوداء داخل الساق أو الجذع وهذا هو السر بإحداث صوته الرنان.

- قلة وجود الشقوق وصعوبة اختراق السوس والحشرات لطبقاته.

- يحتمل عمليات الزخرفة والحفر ولا يتأثر بمتغيرات الطقس من حرارة ورطوبة على مر السنين.

وهذا النوع من الاشجار ينمو في أنحاء مختلفة من الأردن منها عجلون في مناطق شطنا، صخرة، عبين، عبلين، سوف، عين جنة، بشكل كبير وفي الطفيلة أيضا، ويكثر في الأردن وبعض مناطق سوريا وله صنفان لهما تسميات هما:

١- الدريدقي.

٢- الجرشي.

والبطم أجود الأنواع وأغلاها ويحتاج إلى فترة تجفيف وتخزين تتراوح مدتها بين ٢-٤ سنوات ليصبح صالحا للإستعمال. ويستخلص من شجرة البطم الواحدة من ٣-١٢ مهباشا، وهذا عائد إلى حجم الساق وطريقة نمو الشجرة، ويقدر ثمن الشجرة ما بين ٦٠- ٢٠٠ دينار، ومن طبيعة شجر البطم وجود مساحة سوداء تتخلل الساق صلبة جدا يعادل قطرها ثلثي قطر الساق والثلث الآخر الخارجي لونه أصفر، وهو قابل للحفر والزخرفة، لهذا يصنع المهباش من هذا الخشب بشكل واسع.

٢- **الخروب**: يستعمل كبديل للبطم، وينمو في مناطق مختلفة من الأردن، ولا سيما المزار الشمالي، ويحتاج إلى سنة من التجفيف والخزن كي يصبح صالحا للإستعمال ومن ميزاته أنه لا يتأثر بالهواء ولا بالرطوبة ولا يتشقق ولونه أحمر.

٣- **السدر**: يوجد هذا النوع من الأخشاب في منطقة العقبة والأغوار وهو خشب صلب لونه أحمر.

٤- **السنديان**: هذا النوع أقل صلابة من خشب البطم وعادة يستعمل لصناعة يد المهباش كونه لا يؤذي المهباش أثناء عملية دق القهوة، ومن ثم يجعلها حبيبات صغيرة، وليس مسحوقا ناعما، ولخشب السنديان متانة تجعله يحتمل الطرق الشديد أثناء عملية إعداد القهوة.

٥- **المشمش:** يوجد في مناطق مختلفة لونه أصفر جميل لكنه يتلف بسرعة إضافة لقابليته للتسوس والتشقق، ولكن خشب المشمش يعطي منظرا جميلا جذابا وصوتا رنانا للمهباش افضل من صوت خشب البطم.

٦- **الكينا:** يكثر في مناطق مختلفة، بداخله طبقة حمراء لا يصيبه التسوس بسبب مرونته وهو من أرخص الأخشاب نظرا لخفته وانعدام قوته، واستعماله مقصور على الأعمال التجارية.

٧- **خشب التوت:** خشب خفيف يتكسر بسرعة غير مرغوب فيه، يعتبر من أرخص أنواع الأخشاب يستعمل لأغراض تجارية فقط.

المواد الخام المكملة لمادة الخشب في صناعة المهباش:

١- المعادن: تستعمل رقائق معدنية من الألمنيوم أو النحاس أو الفضة وأحيانا الذهب لعمل وظيفي وآخر جمالي، أما الوظيفي فيستعمل كواقيات تثبيت على باب المهباش لوقايته من التآكل بسبب حركة اليد أثناء الإستعمال. وأما الجمالي فإنه يتم حفر ونقش مجموعة من الزخارف عليه.

٢- سبيرتو بيضاء عيار ٩٦٪: وتستعمل لتخفيف مادة الطلاء «الكمليكا» وتباع بالكيلوغرام.

٣- الكمليكا: هي مادة طلائية تستعمل لطلاء الخشب في المرحلة النهائية للعمل على المحافظة عليه من التسوس وإعطائه منظرا لامعا وتباع بالكيلوغرام.

٤- صبغة اللون: تضاف إلى «الكمليكا» لإعطائها اللون الأحمر أو البني أو غيره. وأحيانا تضاف إلى الكمليكا مادة تسمى ترابة صبغات لونية لتكسبه اللون البني المطلوب.

٥- غراء أبيض: لاستعماله عند الحاجة.

٦- ورق تنعيم «برداخ» : لتنعيم السطح الخارجي للمهباش ويتوفر بانواع مختلفة حسب الخشونة.

٧- نشارة الخشب: لعمل المعجون لأغراض التصليح.

الأدوات المستخدمة في صناعة «المهباش»:

الأدوات كثيرة ومتنوعة منها الصغيرة والكبيرة والحادة والمقوسة والمدببة وغيرها وفي الغالب تكون هذه الأدوات من صناعة الحرفي نفسه لما تتطلبه الحاجة. وهذه بدورها تدخل في صناعة المهباش من ألفه إلى يائه حتى الزخرفة والدهان. وما من قطعة معدن إلا لها استخدام خاص لا يعرفه سوى الحرفي القائم على هذه الصناعة، إذ أن لها تسميات خاصة يطلقها على كل أداة. وهذه الأدوات لها استخدامات مختلفة تنقسم إلى عدة أقسام منها:

أ – أدوات القطع:

١- الجازور (المنشار الكبير) ويبلغ طوله حوالي ١٦٠-١٧٠ سم ويستخدم لقطع الشجرة.

٢- الفاروعة (القطاعة): تستخدم أيضا في قطع الأشجار.

ب – أدوات النجارة:

١- البيكار (الفرجار) ويستعمل لتحديد محيط المهباش الكلي ومحيط فوهة المهباش، ولرسم الدوائر على قطعة الخشب أثناء عملية الصناعة والزخرفة.

٢- القدوم: لعمل هيكل المهباش يستعمل بعد رسم الأجزاء الخارجية بواسطة البيكار لإزالة الأجزاء الخارجية من الخشب وعمل الأعمدة.

٣- المنقار (الإزميل): يستعمل للحفر وهو من الحديد يستخدم لتشكيل فوهة المهباش والشكل الخارجي.

٤- الحزازة: هي قطعة معدنية كالسكين بمقبض خشبي ولها حافة مسننة تشبه المنشار، ولكنها صغيرة الحجم ليسهل التحكم بها عند رسم الخطوط على السطح الخارجي.

جـ- أدوات الحفر:

١- المرينة: تشبه ريشة المقدح «الدرل الكهربائي» ولكنها أكبر، وهي يدوية وتشكل مع مقبضها الخشبي حرف (T) بالإنجليزية تستخدم لعمل ثقب أولي في خشبة المهباش من الفوهة إلى ثلثي المهباش بفتحة قطرها (٤ سم).

٢- المنقرة: أداة تشبه الفأس ولها طرف واحد مدبب تستخدم لتوسيع الفوهة وتحديد قطرها وسعة المهباش وتجويفه من الداخل.

٣- المنقار المجوف: يشبه «محفرة الكوسا» يستعمل لإزالة نتوءات الخشب التي لم تزلها المنقرة وتسهيل جوانب التجويف من الداخل.

٤- الملوّقة: قطعة معدنية نصف دائرية ولها حواف حادة من الجهتين مثبتةعلى رأس قطعة خشبية طويلة وتستخدم لصقل وتنعيم التجويف الداخلي لإزالة الأجزاء الصغيرة الناتجة عن استخدام المنقرة سابقا.

د - أدوات التمليس:

١- المبرد: من الحديد يستخدم لإزالة النتوءات الكبيرة.

٢- الحفافة: قطعة صغيرة مبسطة من الحديد تستخدم للتنعيم بعد المبرد.

٣- ورق الزجاج للتنعيم: يستخدم لمرحلة التنعيم النهائية التي يصبح بعدها المهباش جاهزا لعملية النقش أو الطلاء.

هـ- أدوات النقش:

١- المناقيش: أدوات بعدة قياسات وبعدة أشكال حسب حاجة الحرفي، وقد يقوم بصناعتها بنفسه أو عند الحداد بالشكل الذي يريد.

٢- فرشاة الدهان: تستخدم في عملية النقش بالأصباغ في المرحلة النهائية لصناعة المهابيش.

الزخرفة: (شكل رقم ١) تمتاز الزخارف التي تنقش على المهباش العربي بالاقتران بالفن الإسلامي. إذ تعتمد على الأشكال الزخرفية الهندسية والنباتية. لأن هذه الانواع أكثر ملاءمة للمهباش حيث ينسجم شكلها مع الشكل الخارجي للمهباش.

وللخشب المختار لصناعة المهباش عادة قابلية للمطاوعة بين يدي الحرفي عند تنفيذ الأشكال الزخرفية بحيث يراعي فيها الحرفي اتجاه ألياف الخشب.

ومن هذه الأشكال الزخرفية المستخدمة الرموز الحيوانية المنتشرة في البيئة الاردنية وخاصة البيئة البدوية التي ارتبطت ارتباطا مباشرا بهذه الأداة « المهباش» وهناك أيضا زخارف كتابية تمثل تاريخ صناعته أو اسم الصانع وهذه الزخارف بشكل عام تقسم إلى قسمين:

أ – **الزخرفة بالحفر**: وهي نوعان: ١– حفر غائر. ٢– حفر نافر (بارز)

ب– **زخرفة بالطبع**: ولقد أطلق الحرفي على بعض هذه الانواع من الزخارف اسماء محلية (شعبية) نذكر منها ما يلي:

١– الحجب: وهو على شكل مثلثات متتالية متصلة ما بين خطين سفلي وعلوي وله نوعان:

أ – الحجب النافر: تكون المثلثات بارزة.

ب – الحجب المطوع

٢– النجمة: ولها عدة اشكال منها الرباعي والخماسي والسداسي والزخرفة بها على المهباش تكون حسب رغبة الحرفي بالنوع الذي يريد.

٣– الكبة الصينية: عبارة عن مثلثات صغيرة مسننة ليس لها قاعدة.

٤– عريجة: تكون عبارة عن خط مموج متعرج على شكل حرف (S).

٥– اللدان: عبارة عن مجموعة خطوط متقاطعة منها ما هو بخط مستقيم وما هو مائل.

٦– مثلثات متعاكسة.

٧– سفيفة: خطوط مائلة تصطف إلى جانب بعضها بانتظام فتشكل خطوط مائلة متقاطعة.

٨– كرزم.

٩– رجل الحمامة.

أجزاء المهباش: (شكل رقم ٢) ينقسم المهباش من حيث الوظيفة إلى قسمين كل قسم مكمل للآخر، وكلاهما يصنع من خامات الخشب المختلفة والقسمان هما:

أ- بدن المهباش. ب- يد (عصا) المهباش.

أ – **أجزاء بدن المهباش:** نبدأ بذكر وتوضيح مسميات أجزاء بدن المهباش من الأسفل إلى الأعلى كالآتي:

١- قاع المهباش (القاعدة): ذو شكل دائري في أسفل البدن.

٢- الطوق السفلي: حلقة دائرية تعلو قاع المهباش.

٣- صحن المهباش: تجويف داخل جسم المهباش الخارجي ويوجد في المهباش الواحد أربعة صحون لها وظيفتان أحداها جمالية والاخرى لتخفيف وزن المهباش.

٤- عمود المهباش: في المهباش توجد أربعة أعمدة يختلف ارتفاعها من مهباش إلى آخر بشكل يتناسب وحجمه.

٥- الكرش: هو الجزء النافر في وسط بدن المهباش وسبب النفر لأجل تكوين التجويف الداخلي والذي يشكل شكلا كمثريا.

٦- الخصر: فوق الكرش ويضفي على الشكل الخارجي للمهباش جمالا أكثر ولتخفيف الوزن.

٧- الطوق العلوي.

٨- الوجه: يكون بشكل مخروطي للأعلى وهو فوق الطوق العلوي وتحت الفوهة.

٩- الفوهة: «فتحة المهباش»: هي دائرية قطرها ٧سم، تكون أوسع بقليل من قطر يد المهباش وهي تزيد عن قبضة اليد بحدود ٣سم حتى تفسح المجال للحركة والدقة الموسيقية لضربات اليد.

١٠- صفرة المهباش: قطعة معدنية من الألمنيوم أو النحاس وأحيانا من الذهب أو الفضة تحيط الفوهة وتحفر عليها زخارف أو ينقش التاريخ أو بعض الأسماء الخاصة بالحرفي أو المالك.

ب – يد (عصا) المهباش: (**شكل رقم ٣**) هي الجزء الثاني والتابع للمهباش وفي العادة تصنع من خشب السنديان أو البلوط، وأحيانا المشمش. ولا تكون من نفس خشب البدن وذلك كي لا تؤثر على قاع المهباش أثناء الدق. فلو كانت اليد من خشب صلب أو من الصنف الذي صنع منه بدن المهباش فسيؤثر ذلك على قاعدة المهباش أثناء الدق، ويتآكل القاع بعد حين لقوة التصادم، لهذا يفضل صنعها من خشب خفيف ولين، فاهتراء اليد قد يكون أسهل وأقل تكلفة من صناعة بدن المهباش نفسه.

أقسام يد (عصا) المهباش: ١- المدقة: وهي المسافة أسفل «عصا» المهباش بطول ٢٥-٣٠ سم. وهي الجزء الذي يدخل فوهة المهباش ويقوم بعملية سحن ودق القهوة.

٢- الجوزة السفلى والجوزة العليا: وتكون المسافة بين هاتين الجوزتين بحدود قبضة اليد التي تمسك العصا، والجوزتان تمنعان اليد (يد الإنسان) من التحرك للأسفل والأعلى.

٣- الأسوارة السفلية والأسوارة العلوية: وما بينهما كرشة اليد لحفظ توازن يد الشخص الذي يدق وهي ذات طابع جميل.

٤- القمبور: ذو شكل اسطواني تصغر في الأعلى على شكل هرمي.

صناعة المهباش: يمر المهباش بمراحل عديدة ومختلفة لا بد منها لإتمام صناعته، ورغم تعدد التقنيات واختلاف الكيفية التي يقوم بها كل حرفي إلا أنهم يتفقون ويشتركون في الخطوات الرئيسية. فمن هذه المراحل يمكن أن نذكر ما يأتي:

١- المرحلة الأولية.. تحضير الخشب:

أ – قطع أو شراء الأشجار وتركها فترة تجف في الشمس.

ب- تؤخذ هذه الشجرة وتحفظ في مكان يعده الحرفي خصيصا لخزن الاخشاب ولحفظها من المؤثرات الجوية كالحرارة والرطوبة والهواء لعدة سنوات، وهذا تابع لنوعية الأشجار المستخدمة لمنع تشققها وتلفها.

جـ- تؤخذ قطعة من الخشب الذي اعد لصناعةالمهباش عن طريق قطع جزء من الشجرة بواسطة الجازور استعدادا للإنتقال للمرحلة التالية.

٢- مرحلة التخطيط:

أ – رسم دائرتين على قاعدتي القطعة الخشبية بواسطة البيكار بفتحة دائرية تقدر بـ ٣٠ سم، تكون هي الحدود الخارجية لبدن المهباش. (صورة رقم١٣).

ب – تبدأ عملية إزالة الأخشاب الزائدة عن حدود الدائرة بواسطة القدوم حتى يأخذ المهباش الشكل الأسطواني شبه الدقيق.

ج – ينعم السطح الخارجي بواسطة المبرد الخشن للحصول على القياس الدقيق للمهباش.

د – أخذ القياسات والمسافات على المهباش لتحديد الاجزاء التي يتكون منها بواسطة قلم الرصاص والمسطرة والجزازة وهذه الأجزاء متمثلة بما يلي:

١. الطوق السفلي: عرضه يساوي ٤ سم.

٢. الصحن: عرضه ٥ سم ناتج عن الفراغات بين الاعمدة.

٣. العمود: عددها أربعة تقسم بالتساوي ويكون عرض العمود الواحد ٥ سم.

٤. الكرشة: هي الشكل البيضوي الناتج عن المسافة بين الصحن والطوق والطوق العلوي.

٥. الخصر: يقدر عرضه بـ (٦سم).

٦. الطوق العلوي: يقدر عرضه بـ (٥سم).

٧. وجه المهباش: هو الشكل المخروطي الذي يرتفع ٧سم.

٨. الفوهة: دائرة قطرها بين ٨-١٠ سم.

٣- مرحلة الحفر على الهيكل الخارجي للمهباش:

أ – باستخدام القدوم تبدأ عملية الحفر بشكل مائل بارتفاع ٧سم، وهي المسافة بين دائرة الفوهة ودائرة المهباش حتى يتكون الشكل المخروطي.

ب – بعد ترك مسافة ٥سم، من وجه المهباش يتكون الطوق العلوي والخصر حيث يتم عمل خط بينهمابعمق ٣سم عن طريق المنشار بتنجيرها بالقدوم بشكل عكسي حتى يبرز الخصر والطوق.

ت – تنجر الأعمدة بواسطة القدوم وكذلك الصحون التي قسمت إلى أربعة أقسام متساوية على محيط المهباش بعرض ٥سم وبشكل عكسي. كما بطريقة الخصر والطوق العلوي، ويبرز بذلك العمود تلقائيا والطوق السفلي الذي يمثل قاعدة المهباش، ويلي كل مرحلة تنجير مرحلة تنعيم بواسطة الأدوات الخاصة بذلك.

٤- مرحلة الحفر في التجويف الداخلي:

تعد هذه المرحلة من أصعب مراحل صناعة المهباش ويتم الحفر بالخطوات التالية:

أ – يتم استخدام المرينة التي تشبه (الدرل) بعمل فتحة طويلة في المهباش بعمق ٢٠ سم وقطر ٣سم.

ب – باستخدام المنقرة يتم توسيع الفتحة الناتجة عن المرينة، حيث يكسب الحفر شكلا يشبه شكل الأجاصة.

ج – صقل آثار حفر المنقرة التي تترك أثارا خشنة ومتفاوتة في خشب المهباش، وهذه العملية تساعد على إعطاء صوت جميل وتسهل عملية دق القهوة.

٥- مرحلة الزخرفة:

بعد الإنتهاء من عملية صناعة المهباش وسنفرته أي برده وحفه بالبرداخة تبدأ عملية الزخرفة بالأشكال والعناصر التي وضحناها سابقا مستخدمين الأزاميل والأدوات البسيطة الخاصة بالحرفي والتي تتناسب والأشكال الزخرفية التي ستنقش على المهباش.

٦- مرحلة الطلاء:

باستخدام المواد الطلائية التي سبق ذكرها تتم عملية طلاء المهباش بواسطة الفرشاة الخاصة بالدهان والغاية من الطلاء هي حفظه من التشقق عند تعرضه للظروف الجوية مثل الرطوبة والحرارة الزائدة بالإضافة إلى إعطائه اللمعان ليكون شكله أجمل، بعد هذه المرحلة توضع القطعة المعدنية على فتحة المهباش والتي تسمى الصفرة لتحافظ على حواف فتحة المهباش من مشكلات التآكل نتيجة احتكاكها باليد وإعطاء جمالية أكبر.

أما عن يد المهباش فطريقة صنعها مشابهة لطريقة صنع المهباش فيؤخذ فرع من شجرة طوله من ٧٥-٨٠ سم، وتزال الزوائد منه وتبدأ عملية التنجير ويليها العمليات الأخرى المرافقة كاملة. كما هو متدرج في صناعة المهباش بداية بأجزاء اليد حسب الترتيب التالي من الأعلى إلى الأسفل:

١- القنبور. ٢- الجوزة. ٣- البطن. ٤- المقبض. ٥- المدقة.

أما إذا حدث وإن وجد شقوق بسيطة في الخشب أثناء عملية التنجير والزخرفة فتتم معالجتها بواسطة عمل معجون من نشارة ناعمة من نفس نوع الخشب مضافا إليها الغراء الأبيض وتعبأ بها الشقوق ويوضع شكل مضلع معدني ويطرق بواسطة المطرقة ليربط بين شقي الشرخ ويمنع امتداده وانتشاره في القطعة. المهباش بشكله النهائي (شكل رقم ٤).

المزار الشمالية وحكاية المهباش:

تتوسط الأردن منذ الاف السنين طرق التجارة بين الشرق والغرب عامة، وبلاد الشام خاصة، وهذا الموقع الذي سمح للتجار بالعبور في مناطق مختلفة من أجزاء الأردن أدى إلى التميز بعادات هامة التزم بها العربي منذ القدم، وهي الترحيب واستضافة عابر السبيل وإكرامه، وما كان يتوج هذا الكرم وتلك الأصالة القهوة العربية «السادة» التي يشتهر بها البدوي الأردني، وقد علمنا سابقا عن الأسباب والحاجات التي أدت إلى ظهور المهباش وصناعته، ونبحث الآن في تاريخ هذه الحرفة في بلدة المزار الشمالية التي تقع إلى الجنوب الغربي بمسافة ١٦ كم من مدينة إربد (عروس الشمال) فهذه البلدة تمتاز بسهولها

وجبالها وبانتشار الأشجار الحرجية التي ساهمت في ترسيخ جذور صناعة المهابيش على أرض المزار، ومن أهم الأشجار والتي توجد بكثرة هي أشجار الخروب والسنديان والسرو إضافة إلى أشجار أخرى مثل البطم والبلوط.

وقد كان لنشاط سكان هذه البلدة وحاجتهم إلى المال مع وجود المقومات الأساسية (الأخشاب) في المنطقة سببا لاندفاعهم إلى حرفة صناعة المهباش. وقديما كان الكثير من المزارين يعملون بهذه الحرفة إلا أننا نجد مع بزوغ فجر التطور الحضاري واختراع الآلات الحديثة التي تعمل بالكهرباء والتي أثبتت وجودها وسيطرتها على حياتنا وواقعنا قد أنابت وأخذت مكان الأدوات اليدوية التي كانت تستخدم ومنها المهباش. مما أدى إلى نقص الطلب عليه، وبالتالي نقص العاملين والمحترفين لفن حرفة صناعة المهباش. ومع مرور الزمن آخذا وطاويا معه صفحات كثير من الحرفيين بات أمر هذه الحرفة معلقا على القلائل الذين لا زال نشاطهم لم يهن وشخصيتهم لم تضعف أو تتغير بل بقوا ذوي كفاءة ومهارة عالية محافظين على تراثهم الفني الخصب مع تعرضهم في غضون هذا العصر إلى محنة شديدة واختبار عسير وذلك بسبب الركود في الطلب على «المهباش» إلا أنهم يعملون بدافع الرغبة والانتماء لهذا العمل وإن شاء الله نستطيع الحفاظ على هذه الأصالة في تراثنا. ومن أهم الحرفيين الذين اشتهروا في مجال صناعة المهباش في بلدة المزار الشمالية منذ القدم هم « قبيّل الأحمد» ويعد أول من عمل المهباش في البلدة ومن ثم شخص يدعى (ثاني الجراح) وهذا بدوره أورثها لولده (زبن الجراح) ويعد أفضل من عمل المهباش في المزار. هذه المجموعة من الحرفيين وافتهم المنية ولكن وجودهم باق وذكراهم خالدة لأن أعمالهم خالدة وأصبحت رمزا للاصالة التي يمتاز بها التراث في كل حضارة من الحضارات.

أما عن الحرفيين المعاصرين فمنهم الحرفي (علي أحمد الديري) الملقب بـ (الدبعي) ويعتبر من أشهر الحرفيين في الوقت الحاضر. والحرفي (عايش) الذي يعمل أساسا في سلك التعليم فهو مدرس لمادة العلوم بمدرسة المزار للذكور. وكذلك الحرفي (محمد أحمد الشرمان) الملقب (محمد أبو جداية) متقاعد من القوات المسلحة.

وحول حرفة صناعة المهباش ترددت حكاية على ألسنة بعض المسنين في المزار فحواها يتحدث عن أصل هذه الحرفة في بلدتهم، وعن كيفية توارثها وشهرتهم بها، وهذه الحكاية كما قيلت وتوارثت، يقال أن في القديم زار رجل من (النّور) المزار، وعند مشاهدته لكثافة غاباتها وجودة أخشابها بدأ بنجارة المهابيش وبعد حين تعلمها من أهل المزار رجل يدعى (ثاني الجراح) ومن ثم علمها لأولاده وتناقلت بعدهم للأجيال الأخرى.

كما يتحدث أهل بلدة المزار قائلين بأن أكثر من خمسين شخصا كان يعمل في حرفة صناعة المهابيش قبل ثلاثين عاما منصرمة، ولكن الآن بدأت الأعداد تقل وتقتصر عى أفراد محدودين. وإن دل ذلك على شيء فإنما يدل على أن هذه الحرفة لم يعد الطلب عليها كبيرا، كما هو الحال سابقا وهذا هو أمر طبيعي في أجواء التطور الصناعي وما آلت إليه متطلبات الحياة من اعتماد كلي على الأدوات الكهربائية والتناقص الملحوظ في أعداد القائمين على هذه الحرفة والعاملين عليها ويعد مؤشرا خطيرا ينبئ بيوم نفتقد به تاريخ هذه الحرفة واندثارها، وهذا ما يجب أن نأخذه بعين الاعتبار ونعمل على الحفاظ على هذه الحرفة من الضياع لأنها حرفة تنم عن أصول تراثية خاصة ومنفردة تمتاز بها الأردن وتعبر عن هويتنا ويجب المحافظة عليها بشتى الوسائل والسبل الممكنة ومن هذا المنطلق يجب ان تكون هناك رعاية خاصة لهذه الحرفة والإهتمام بها كتراث يسجل تاريخ الأمة عبر الأجيال.

مستخلص حوار مع حرفي:

علي أحمد الديري: حرفي معاصر يعيش في بلدة (المزار الشمالية) من مواليد عام ١٩٣٨ كان يعمل في القوات المسلحة الأردنية. ومنذ الصغر كانت حرفة صناعة المهابيش تستميل مشاعره، وبعد تقاعده تعلم صناعة المهابيش على يد الحرفي الشيخ (زبن الجراح) وكانت بدافع الهواية والرغبة التي نشأت معه منذ الصغر وعمل بهذه الحرفة وهو في الثلاثين من عمره، ولا يزال يعمل منذ ما يقارب الـ ٢٥ سنة لتحسين وضعه الإجتماعي.

ويقول عن الحرفة بأنها ممتعة وأحيانا تكون مضجرة، ذلك لأن العمل صعب ويحتاج إلى الدقة والصبر وبذل جهد كبير ولكن الحاجة المادية لإعالة أسرة مكونة من ١٤ نفرا تدفعه للعمل وإن العائد المادي من هذه الحرفة جيد بشكل عام، ولكنه يشعر بالأسف والألم، لأن هذه الحرفة على وشك الإنقراض والإنخفاض ملحوظ بأعداد الحرفيين، وبهذا الصدد يتقدم الحرفي «علي الديري» بالتطوع لتعليم من يريد أن يتعلم هذه المهنة وأنه على استعداد للعمل الجاد من أجل المحافظة على الحرفة، ولقد ذكر بعض المشكلات والصعوبات التي تواجه الحرفي في هذه الأيام أثناء ممارسته لهذه الحرفة ومنها ما يلي:

١- صعوبة الحصول على الخامة الرئيسية (الخشب) وذلك لعدة أسباب:

أ - قلة الأشجار.

ب - منع قطع الأشجار من قبل وزارة الزراعة.

٢- صعوبة المواصلات للأماكن التي فيها الأشجار ومن هذه الاماكن (عجلون، المناطق الشمالية، أم قيس، كفرأسد).

٣- مشكلة التسويق في الوقت الحاضر، وهذه ترجع إلى قلة الطلب عليه واقتنائه فقط كتحفة جمالية تراثية.

٤- ظهور الآلات الحديثة التي حلت محل المهباش في عملية طحن القهوة.

٥- غلاء ثمن المهباش حال دون أن يقتنيه العديد من الناس حيث أنه لا يستطيع كل شخص أن يدفع ويشتري مهباش للزينة، يستثني الأغنياء والمهتمين بجمع قطع التراث الشعبي، مهما غلا ثمنها فأسعاره تتراوح بين ٥٠-١٨٠ دينارا، وقد تصل إلى مئات الدنانير إذا كانت مطعمة بالأحجار الكريمة أو الذهب أو الفضة.

وأشار الحرفي إلى ضرورة أن تعمل المؤسسات المسؤولة على المحافظة على هذه الحرفة والعناية بها مثل الجامعات التي يقترح أن تقوم بتعليم الحرفة لطلابها من طلبة كلية الفنون الجميلة، وأفاد أن هناك محاولة لتطوير المهباش شكلا ونوعا. هذا ما أكده قائلا أن

بمقدوره قلب شكل المهباش التقليدي وإخراجه بشكل مغاير لما هو معروف فمثلا أستطيع صنعه بشكل حيوان (جمل) بحيث يكون بدن المهباش هو «السنام» والعصا «اليد» على شكل «أفعى»، ولكن رغبة الناس متعلقة بشكل المهباش التقليدي لأن غالبية تسويقه أصبحت للسائحين الأجانب في المهرجانات مثل «مهرجان جرش» الذي يزداد الإقبال فيه على طلب المهباش في هذا الموسم، لذا لا بد أن يبقى المهباش بالشكل التقليدي التي فرضتها الحاجة إلى نشأته والتي ترتبط بتراثنا مع إدخال التطورات المعاصرة على أن لا يؤثر ذلك على القيمة العملية والجمالية التراثية التي وجد من أجلها المهباش.

وأخيرا يتوجه الحرفي الذي يحرص على استمرارية حرفته من بعده إلى المحافظة على التراث وإبقائه في عقولنا وعدم جعله تحفة في المنازل فقط، إذ لابد من الإهتمام بذلك من خلال المتاحف والمعارض والتعليم حتى نستقي من ماضينا عراقة الأجداد.

شكل رقم (١). الزخارف الخاصة بالمهباش

١) الحجـــــب :

٢) الحجب النافر :

٣) اللـــــدان : 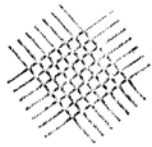

٤) النجمـــــة :

النجمـــــة :

٥) الكبة الصينيـــة : 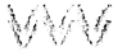

٦) مثلـــــث :

٧) كبـــة بصينيـــة :

٨) سغيفـــة :

٩) أربعـــــة :

١٠) مثلثات متعاكسة :

شكل رقم (٢). مراحل تصنيع وأجزاء المهباش

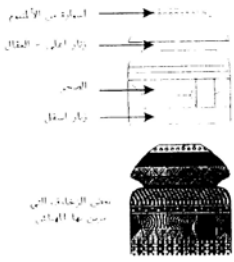

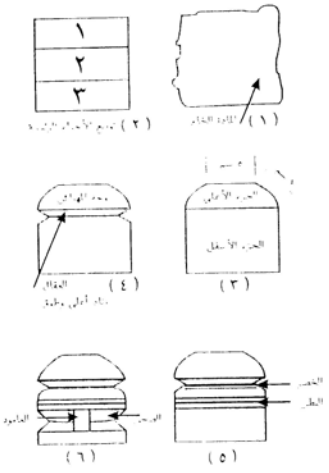

شكل رقم (٣) . أقسام يد (عصا) المهباش .

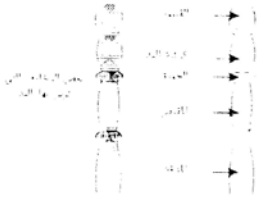

شكل رقم (٤) . المهباش بشكله النهائي

المهباش بشكله النهائي

الخاتمة:

على هذه الرقعة المعمورة وفي هذا الجزء من الوطن العربي، وفي الأردن العديد من بقايا التراث الذي ورثناه عن الآباء والأجداد من خلال حقب زمنية متعاقبة، وهذه الشواهد تترامى في جميع أنحاء المملكة شمالا وجنوبا، شرقا وغربا، وبروح فنية ممزوجة بتناغم وحس إبداعي مرهف ملئ بكل معاني التراث يبرز المهباش هذه الأداة الفنية المرتبطة ارتباطا روحيا وثيقا بتراثنا هذا التراث المرتبط بحياتنا الروحية والثقافية والتاريخية والإقتصادية. هذا التراث الذي يجب أن نحافظ عليه خاصة بعد ضياع الكثير من ملامح هويتنا التراثية الأردنية، والتي أصبح الكثير منا لا يعرفها إلا في بعض الزوايا الصغيرة التي تضمها متاحفنا المنتشرة في أجزاء هذا الوطن.

والواقع أن الناظر إلى هذه الحرفة وضمن إنتاجها الحالي يرى أنها آيلة إلى الإنقراض وبهذا نكون قد فقدنا عنصرا هاما من عناصر تراثنا بالرغم من محاولة بعض الحرفيين تعليمها لأبنائهم ولمن يرغب في تعلمها ولكن الحقيقة أن المطلوب أكثر من ذلك. فعلى صعيد المؤسسات المهتمة بالفن والتراث نرى أنها لابد أن تهتم بهذه الحرفة، فكليات الفنون في جامعاتنا لابد أن تأخذ بعين الإعتبار هذه الحرفة وتحاول تدريسها وإيجاد مشاغل تسهل إنتاج هذا العمل. كما لابد من وزارة السياحة والآثار أن تهتم أيضا بها ونحن نعرف أنها تقوم مشكورة بتشجيع صناعة بعض أنواع من الحرف، فهي لابد أن تنتبه وضمن مشاريعها السياحية لهذه الحرفة وتشجعها وتنتجها فنذكر على سبيل المثال مشروع قرية الطيبة السياحي في جنوب الأردن، فهذا المشروع يهتم بالصناعات فلماذا لا يأخذ باعتباره المهباش وكما لابد للجمعيات الخيرية المهتمة أن تأخذ هذه النقطة بعين الإعتبار آملين أن نسعى جميعا لما فيه خير تراثنا وحضارتنا.

المراجع

١. الحرفي علي أحمد الديري/ المزار الشمالي.

٢. الحرفي محمد أحمد الشرمان/ المزار الشمالي.

٣. الحرفي عايش الجراح/ المزار الشمالي.

٤. جمال الدين محمد بن مكرم. لسان العرب، المجلد السادس، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت ١٩٦٨م.

5. Topham, John and Others, (1981): Traditional Crafts of Saudi Arabia, Stacey International. London.

6. Weir, Shelagh. The Bedouin. :London, 1976, World of Islam Festival Publishing Company Ltd, London.